مقدمة الناشر

إن تاريخ الإسلام كتب على يد أولئك الرجال الذين ذكرهم رب العالمين بقوله: ﴿الذين آمنوا وزدناهم هدى﴾ ضحوا بدمائهم وأموالهم في سبيل نصرة الحق، وحمل اللواء. الذين يجدر بنا التعرف عليهم والتأسي بجلال ' سمالهم، أولئك الأطهار المستغفرين بالأسحار، رهبان الليل، فرسان النهار.

أخذوا العلم فعلموا ووعوا واستوعبوا، وتحدثوا فملكوا مجامع القلوب بحجة قوية، وبرهان يغلق منافذ القول، تمثلوا بالفضائل وتكاملت فيهم صفات الإيمان والإخلاص والتفاني في سبيل خدمة هذا الدين فهم زعماء مطاعون، وفرسان شجعان، وقواد مجربون.

هؤلاء العلماء الذين ذكرهم رسول الله ﷺ في حديثه: «العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر».

وكما قال عليه الصلاة والسلام: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على الناس».

وما نعيشه اليوم من تمزق وانقسام، وضيعة وهوان، يجعل المسلم يتطلع إلى قائد يقتدي به، ومفكر واعٍ، أو مجاهد يتقدم الصفوف، أو

حاكم عادل يسير خلفه صادقاً، لذا كان من الضروري أن نكتب سيرة هؤلاء العلماء الأعلام نذكّر الخلف بما كان عليه السلف فقد كانوا منارات الهدى، وحياتهم مادة تروي النفوس العطشى كالغيث أصاب أرضاً نقية شربت الماء فأنبتت الكلأ والعشب. فالقدرات الشخصية، والملكات التي يمنحها رب العالمين لبعض عباده فيتقدموا الصفوف، ويضربوا المثل هي التي يجب أن نبيّنها للناس.

ولا بد عند دراسة شخصية من هؤلاء أن نضعها في إطارها التاريخي الذي عاصرته، ونبين المؤثرات التي أثرت فيها، ثم نصدر حكماً عليها فالظروف التاريخية هي عامل هام في تشكيل الاطار العام للشخصية.

* * *

وتاريخ المسلمين حافل بشخصيات كبرى ربّاها الإسلام، وتخلقت بخلق القرآن فكانت المثل الذي يهتدي المسلم بهديه ويستضيء بنوره ويقتدي به، يرشده إلى الخير، ويحذره من مزالق الشر.

ونحن إذ نفخر بهؤلاء الرجال ونتتبع أخبارهم نعترف بفضلهم ونقف على سيرهم نستفيد منها ونقتدي بها لنكون خير خلف لخير سلف ونكون امتداداً لهم حلقة تتصل بحلقة نشارك في البناء الحضاري لأمتنا فيبقى المشعل مضيئاً، ونور الفضيلة مشعاً، ونحن في هذا نتمثل قول الله عز وجل:

﴿وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق، وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾ هود [١٢٠].

﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب﴾ يوسف [١١١].

﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ ق [٣٧].

* * *

والكتابة عن شخصية إسلامية معاصرة فيها بعض الجرأة والمسؤولية، ذلك أن هذه الشخصية بما تحمل من اتجاه فكري تنادي به مجانب للهوى ومعارض لما عليه غالب حكام اليوم من ميول، فلا يستطيع الكاتب أن يكتب بشمولية ودقة بحيث يستعرض الجوانب المختلفة لها، فقد لا تتيسر المصادر فيجتهد أو يستنتج أو يتخيل بعض الصفات أو النشأة والبيئة التي أحاطت بتلك الشخصية.

وقد يثير الكاتب موضوعات محددة ينبش ما خفي أو اختلف فيه فيصف ومن ثم يحلل ويعالج ويخلص إلى رأي محدد، وكل هذا محفوف بالمخاطر.

* * *

وكتابنا اليوم عن الدكتور مصطفى السباعي ـ رحمه الله ـ الذي كان شديد الحماس للإسلام تتوقد في قلبه حرارة الإيمان، هو محاولة إنصاف، وإن تأخرت وكلمة حق ترتفع بعد عشرات السنين من وفاته لتعطيه بعض حقه علينا.

وهي وقفة إجلال لهذا الرجل الذي وهب عقله وروحه وحياته للدعوة،

ونحن نعلم أننا لم نوف الرجل حقه، ولكنها لبنة على الطريق، يمكن أن تفيد القارىء والباحث فيطل على التاريخ الحديث للحركات الإسلامية.

وهي تحريض لبعض من عزم ـ منذ زمن ـ على كتابة تاريخ السباعي وفيها نطبق المنهج العلمي في البحث ونبين للناس بعضاً من مزايا هذا الرجل.

* * *

وإذا كان لتاريخ الأمة صلة متينة بحاضرها، فالفترة التي عاشها السباعي وجال في ميدانها كانت فترة مليئة بالأحداث والدروس والعبر مشحونة بالمؤامرات مثقلة بالأحزان، وهي بحاجة إلى دراسة مستفيضة تبحث عن نقطة للانطلاق في سبيل رسم معالمها لتؤدي رسالتها على الوجه الأكمل.

وخاتمة القول:

﴿**وتلك الأمثال نضربها للناس، وما يعقلها إلا العالمون**﴾ العنكبوت [٤٣].

والله الموفق.

رضوان دعبول

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على معلم الدعاة وقائد المجاهدين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذا هو الكتاب الأول من سلسلة «أعلام المسلمين في العصر الحديث».. كتاب عن القائد الفذ، والمجاهد الصابر، والأستاذ المربي الشيخ الدكتور مصطفى السباعي..

فقد كان السباعي رحمه الله علماً بارزاً من أعلام الفكر والدعوة والجهاد في زماننا المعاصر.. وكان منارة من منارات الإسلام الشامخة، ونموذجاً مشرقاً على امتداد تاريخنا الطويل..

كان عالماً متفتح الذهن.. آتاه الله علماً واسعاً، وذكاء حاداً، وبديهة حاضرة، وأسلوباً في الحوار نادراً، وجرأة في الحق، وقدرة على التصدي للباطل، وقوة في الإيمان ويقظة الضمير..

كان داعية جمع بين الإيمان العميق بالمبدأ، والفهم العميق بروحه، والعلم العميق بدقائقه وأسراره، والقلم السلسال واللسان العذب للتعبير عنه على صفحات الكتب والمجلات، ومنابر المساجد، ومنصة الجامعة، ومسرح السياسة.. وداعية عاش لدعوة الإسلام في حياته، ولم يكن يعنيه من دنياه إلا أن يطمئن على هذه الدعوة قبل مماته!!

كان أستاذ جيل، وقائد رعيل، وخطيب جماهير، وباعث نهضة.. وكان مصلحاً كبيراً وسياسياً واعياً، وعالماً باحثاً، وكاتباً أديباً، ومؤلفاً

منتجاً، وذكياً إلى درجة الحكمة.. وقلّما تجتمع هذه الصفات في رجل واحد، وقد جمعها الله فيه..

قال عنه الشيخ محمد أبو زهرة، وقد زار بلاد الشام، واجتمع إلى العلماء العاملين، فقال: إنه لم ير هنا ـ في بلاد الشام ـ أعلى من السباعي همّة، وأعظم منه نفساً، وأشدّ منه على الإسلام والمسلمين حرقة وألماً[1].

وإنّ من الوفاء لهذا القائد الكبير أن نسجل سيرته في هذا الكتاب ليقتدي به الشباب، وتتربّى على نهجه الأجيال.

خطة البحث:

اعتمدت هذه الدراسة على عدد من المصادر والمراجع، وفي مقدمتها:

١ ـ مجموعة من كتب الدكتور السباعي.

٢ ـ مجموعة من الكتب والمراجع.. وقد أشرت إليها في هوامش الكتاب.

٣ ـ مقالات لعدد من العلماء والدعاة والأدباء.

٤ ـ مجموعة من أعداد مجلة حضارة الإسلام.

٥ ـ مقابلات شخصية أجريتها مع عدد من الدعاة والعلماء الذين عاشوا مع السباعي وشاركوه دعوته وجهاده.

وقسمت البحث إلى ثمانية فصول، هي:

الفصل الأول: تناولت فيه حياة السباعي.. وتحدثت عن ولادته

---

(١) الدكتور عدنان زرزور: مقدمة كتاب «عظماؤنا في التاريخ»، ص٣٩.

ونشأته، وطلبه للعلم، وعمله في التدريس والجامعة، وأسرته، وعن أبرز سماته وصفاته.

الفصل الثاني: تناولت فيه السباعي مؤسس حركة.. وتحدثت عن تأسيس الحركة، وعن أهدافها ونشاطها، وعلاقتها بالحركات الدينية والأحزاب السياسية، وعن نشاط السباعي خارج سورية، وعن الخلافات والانشقاق، وعن خليفة السباعي ونوابه.

الفصل الثالث: تناولت فيه السباعي قائد جهاد.. وتحدثت عن كفاحه الوطني وكفاحه ضد الانجليز والفرنسيين، وعن جهاده في فلسطين.

الفصل الرابع: تناولت فيه كفاح السباعي السياسي.. وتحدثت عن وقوفه مع القضايا الوطنية والعربية والاسلامية، وعن السباعي في البرلمان وعن معركة الدستور، وعن عدد من مواقفه، ومحاولة اغتياله، وخوضه الانتخابات التكميلية.

الفصل الخامس: تناولت فيه نشاطه الاجتماعي ورحلاته.. وتحدثت عن تبنّيه لحركة العمال، ومساعدة القرى والفلاحين، وانشاء المدارس والأندية، والتعاون الخيري.

الفصل السادس: تناولت فيه نشاطه في مجال العلم والبحث والأدب.. وتحدثت عن حركته الفكرية، وعن موسوعة الفقه الإسلامي، ونشاطه الصحافي، وعن مؤلفاته وشعره وحكمته ومكتبته.

الفصل السابع: تناولت فيه مرضه ووفاته.. وتحدثت عن المرض الطويل والآلام، وعن وفاته وتشييعه، والوفاء له.

الفصل الثامن: تناولت فيه كلمات وآراء بعض العلماء والأدباء في السباعي.

وفي ختام هذه المقدمة فإني أتقدم بالشكر والثناء لجميع الأخوة الذين قابلتهم للاطلاع على ما عندهم من معلومات.. وإلى كل من ساهم برأي أو قدّم معلومة ساعدت في إنجاز هذا الكتاب، والحمد لله رب العالمين.

المؤلف